الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: التجريب في الأدب الجزائري المعاصر
(محاضرة)
الاختصاص: الأدب العربي الحديث والمعاصر.
السنة: الثانية ماستر.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 01

خصائص الأدب الجزائري

أخذت النزعة التجريبة المنبثقة عن الرؤية الحداثية في الأدب منحى تصاعديا في الساحة الأدبية المغاربية، انطلاقا من الرغبة في التمايز والاختلاف، ومضت بتسارع باتجاه الخرق والتجاوز وتحطيم كل الانظمة القديمة مع سبق الإصرار ولترصد، ما جعلها تصبح الظاهرة الأبرز في مسارات التحولات العميقة أحيانا و المتخبطة في احايين أخرى، نتيجة الاحتكاك العميق بروح الحداثة أحيانا والملامسة السطحية في كثير من الأحيان.

ولم تقتصر الحداثة والتجريب مثلما بدأت مع "إميل زولا" على الرواية، بل سرعان ماتلقفها الشعر لأنّ حالة التجريب قامت على شرعية الرفض للمنجز الروائي السبعيني المشبّع بالأسئلة النمطية الجاهزة في غالب الأحيان[1].

وفي الواقع، فإنّ رواية التجريب، تستمدّ أبرز العلامات الدالّة على حداثتها من مجمل تلك الخصوصيات التي تضفي عليها مياسم الكتابة المغايرة للسائد السردي، والمتميّزة عنه بحكم ما توفّر عليه هذه الرواية من عناصر الإضافة النوعية، والتي تتفاوت من كاتب لآخر، إلاّ أنّها تبقى دليلا معبّر عن الكتابة المضادّة والتي لا تتردّد في مواجهة / الآخر المتعدّد الوجود، بعد أن تحرّرت في التفكير والتخييل واللّغة مجسّدة بذلك جواب التجاوز على سؤال الإبداع اختيار المغامرة بديلا. [2]

شهدت الرواية العربية انعطافات متعددة، مع اختلاف من قطر إلى آخر، حيث يميل بعض الباحثين إلى ربط بداية ذه الهزة، التي لحقت النص الروائي العربي، ابتداء من الأربعينيات ولكنّ الموجة التحديثية كانت آنئذ مغمورة بالمدّ الواقعي، وبشر أحد رواد الرواية التجريبية العربية وهو "إدوارد الخرّاط" إلى ملامح التجريب التي تشكّلت في نزعة سمّاها هو فيما بعد بـ "الحساسية الجديدة وهي:

- **تيار التشيّء أو التغريب**: وهي طائفة رفضت أشكال القمع والقهر والإحباط ومن ممثلي هذا التيار يذكر: إبراهيم أصلان، بهاء طاهر، محمود الورداني، إلياس خوري و زكريا تامر.
- **التيار الداخلي**: وهو على نقيض التيار السابق، نجد أنّ رؤية الكاتب داخلية، هناك عمل كبير على مستوى اللغة ومنهم: يحي الطاهر عبد الله، جمال الغيطاني، عبد الكريم قاسم، ومحمد مستجاب.
- **تيار الواقعية السحرية**: سعى أصحاب هذا التيار إلى كسر الحدود بين الواقع العيني المحسوس وبين المتخيّل حتّى ليصبح كلاهما بنفس المعنى من كتّاب هذا التيار يمكن أن نذكر: بدر الديب، إبراهيم عبد المجيد، سعيد الكفراوي، حيدر حيدر..

1- علال سنقوقة، البحث عن النّص، مقاربات في السرد العربي المعاصر، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر. دط، 2021، ص:118.
2- بوشوشة بن جمعة، التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغاربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2003، ص: 104.

- **تيار الواقعية الجديدة:** وفيه تداخل بين الواقعية التقليدية والكتابة الحداثية الجديدة ومن الأسماء التي برزت في هذا الاتجاه يمكن التمثيل بـ: خيري شلبي، محمد المنسي قنديل، صنع الله إبراهيم، سليمان فياض، سلوى بكر.

أما المصطلح فقد عُرف أوّل مرة من خلال كتاب **"إميل زولا "** الذّي حمل عنوان **"الرواية التجريبية"** وقد صدر عام 1880 في طبعته الأولى، وهو مجموعة مقالات متفرقة، بسط فيها الكاتب نظرية جديدة يوازي فيها بين المنهج التّجريبي في العلوم الطبية بالمنهج النقدي في الرواية وهو منهج تبيّن - لاحقا - تطرفه، حيث لم يكتب له الاستمرار وجاء الكاتب المغربي "عز الدين المدني" ووضع كتابه المعروف باسم "الأدب التجريبي"، وهو أوّل محاولة توظّف مصطلح التجريب في النقد العربي الحديث بالمعنى الذي نفهمه اليوم تقريبا ولكنّ المصطلح أخذ الامتداد بتسميات أخرى وقد تجلّى في تسمية "الرواية الجديدة" ثم توالت التوظيفات المتعددة في النقد العربي من مثل: **الرواية الحداثية**، **الكتابة الجديدة**، أو **البلاغة الجديدة** كما يستعمل ذلك رائدها وهو إدوارد الخرّاط، وتترك هذه الكتابة الجديدة بياضات كثيرة في النص تجعل المتلقي يتفاعل معها و يشارك في انتاجيتها.

وما شكّ في أنّ هذه الانعطافات لها أسبابها التاريخية والثقافية والأدبية وغير ذلك، فالرواية الجزائرية شهدة تحوّلات واضحة في فترات مختلفة، ويمكن ملاحظة ذلك التميّز على مستوى الخطاب الروائي من خلال الموضوعات التي أخذت تتجاذب الروائي الجزائري أو من ناحية تقنيات السرد والبناء الروائي.

وما من شكّ، فإنّ التأثيرات خارج – نصية، لها قوّة كبيرة على هذا الانعطاف وأحسب أنّ فترة التحوّل السياسي في الجزائر في نهاية الثمانينيات كانت وراء ذلك، بما أتاح للكاتب من هامش للحرية وإن كانت نسبية أحيانا، إلاّ أنّها كانت فرصة للاطلاع على التجارب الروائية العالمية المختلفة ومحاولة الاستفادة من هذا التراكم الإبداعي على المستوى العالمي.

بيد أنّنا نميل إلى أنّ التجريب في الرواية الجزائرية (المكتوبة باللّغة العربية) أسبق من ذلك وإن لم يتجلّ في شكل وعي جماعي أو تيار واضح في الكتابة على النّحو الذي ظهر به في فرنسا أو العالم العربي.

فلا يمكننا أن نتجاوز الأعمال الروائية لكلّ **من الطاهر وطار** و **عبد الحميد بن هدوقة** و**جيلالي خلاص** و**أمين الزاوي** و **واسيني الأعرج** و **عبد الملك مرتاض** و **رشيد بوجدة**، وغيرهم ممّن حاولوا أن يعطوا للنص الروائي صورة أخرى مغايرة في الموضوعات وفي التقنيات ووسائل البناء الروائي.

فقد بدا **رشيد بوجدرة** - مثلا - من الأصوات الأولى في التجريب الروائي من خلال استفادته من رواد الرواية الجديدة في فرنسا، ففضلا عن كسر الطابو الجنسي محاولا خلخلة التوظيفات الواقعية المهادنة في النصوص الروائية ذات المنزع الواقعي البسيط، جدّد اللّغة الروائية وأضفى عليها طابع السرد المتعدّد على نحو ما نجد في أعماله: التفكك (1982)، ليليات امرأة آرق 1985)، معركة الزقاق (1986)، تيميمون (1994).

أما **الطاهر وطار** فقد تجسّد التجريب بوعي كبير في بعض نصوصه على نحو : الحوات والقصر (1980)، تجربة في العشق (1989)، العشق والموت في الزمن الحراشي (1980) اللاز (1978).

ولا تخفى النزعة التجريبية في رواية عبد الحميد بن هدوقة "الجازية والدراويش" (1971) حيث ظهرت أولى بوادر توظيف التراث السردي الشعبي من خلال تغريبة بني هلال، فضلاً عن عمل واضح فيما يتعلّق بكسر خطية الزمن، وسايره في هذا الاتجاه **واسيني الأعرج** في روايته "نوار اللوز أو تغريبة صالح بن عامر الزوفري (1983) وكذلك عمله الروائي الآخر: ما

تبّقى من سيرة لخضر حمروش (1983) إلى غاية أعماله الأخيرة وخاصة "كتاب الأمير / مسالك أبواب الحديد" (2004) و"أصابع لوليتا" (2013) [1].

وهكذا فإنّ التجريب في تصور واسيني الأعرج – فعل إبداعي / حداثي، يستمدّ العلامات الدالة على حداثته من تلك المزاوجة بين ثقافة / الأنا، الأصيلة، وثقافة / الآخر الغربية، وعي المزاوجة التي تكسب مذهب التجريب الروائي لدى هذه الكاتب ميسم الاختلاف الذي تجسّده نصوصه الروائية[2].

وفي هذا السياق يمكن ذكر رواية **أمين الزاوي** "صهيل الجسد" (1983) التي اخترق نصها المحظور الجنسي، فتحت الباب أمام كتابة جديدة و هي الكتابة التي ظلّ لها وفياً حتى في رواياته الأخيرة.

كما شكّلت روايتا **جيلالي خلاص** "رائحة الكلب" (1985) وحمائم الشفق (1986) انعطافات حقيقية فيما يتعلّق بتوظيف الزمن وبناء المادة الحكائية.

على كلّ حال، لا يمكن القيام بعملية حصر كلّي لكل النصوص التي جدّدت البناء الروائي الجزائري ولكنّنا ضربنا أمثلة لنبيّن بأنّ (التجريب) قديمٌ في الرواية الجزائرية وليس مرتبطاً بفترة التسعينيات.

لكن هذه الفترة أنجبت كتّاب رواية، رصدت أعمالهم وقائع العنف الذّي ميّز الفترة ومن هنا تغدو هذه النصوص مادة مهمة للقراءة السوسيو – نقدية، لقد سعت الرواية إلى محاولة تعرية بعض الخطابات التي كانت مهيمنة زمن الأحادية الحزبية، تجسّدت في البعد الاشتراكي بما يحمله من قيم طوباوية وما تعلّق بأحلام النخبة القومية اليسارية.

ربّما هذا العرض يكشف فعلا بأنّ التجريب لا يمكن تعريفه نظريا و لا حصر دلالاته، لأنّه ذو مفهوم متطوّر من فترة إلى أخرى تبعا لطبيعة الممارسة الابداعية نفسها، ثمّ إنّ التعريف من شأنه أن يوقعنا في تضارب مع ناموس الخلق الفنّي، فكأنّ القواعد الثابتة لا تصمد أمام التوجّهات التجريبية المتعددة والمتراكمة في الابداع الروائي العربي والعالمي.

ولذلك فإنّنا نميل إلى أن نبقي مصطلح التجريب مفتوحا على التعاريف المختلفة التي لا تمسّ في النهاية جوهره من خلال كونه عملية تحوير واختراق لطبيعة الجنس الروائي نفسه وهو جوهر الإبداع[3].

1- ينظر: علال سنقوفة، البحث عن النّص،ص:120- 123.

2- بوشوشة بن جمعة، التجريب وإرتحالات السرد الروائي المغاربي، ص: 124.

3- ينظر: علال سنقوفة، البحث عن النّص،ص:124- 125.